

الطريقة المحمدية
صوفية سلفية شرعية

الخطاب

هَذَا هُوَ تَصَوُّفُنَا، وَتِلْكَ هِيَ دَعْوَتُنَا
رَبَانِيَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. عَدْلًا بِغَيْرِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَقْرِيطٍ

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً



خطبة رابحة لعمته ... الصلاة والسلام على سيدنا محمد

تكملة لخطبة الجمعة

العدد ١٠٠ - ١٤٢٤ هـ

الخطبة
هَذَا هُوَ تَصَوُّفُنَا، وَتِلْكَ هِيَ دَعْوَتُنَا

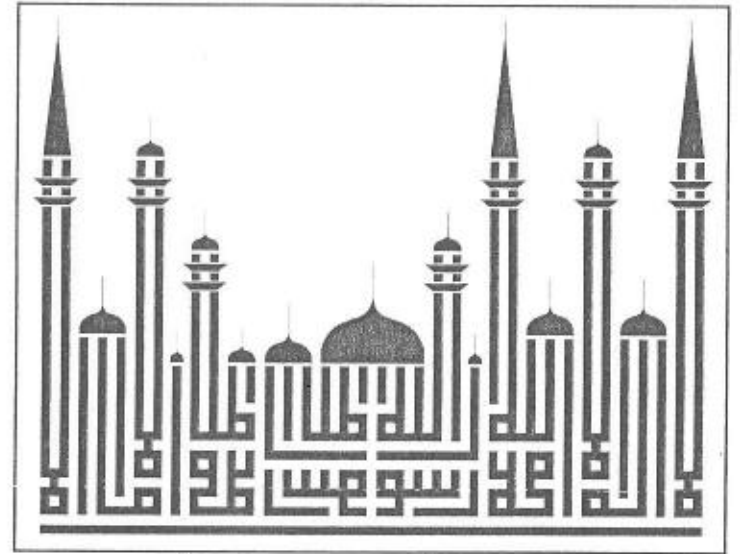
الخطبة
التي نقرأها
في كل صلاة
جمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَأَنبَأْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾

صدقة الله العظيم

[سورة ص: الآية ٢٠]



لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

الطبعة السابعة

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

علق عليها

العلامة المحقق الشيخ

عبد الرحمن حسن محمود

رحمة الله تعالى

الطريقة المحمدية
صوفية سلفية شرعية

الخطاب

هَذَا هُوَ تَصَوُّفُنَا، وَتِلْكَ هِيَ دَعْوَتُنَا
رَبَانِيَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. عَدَّ لِابْتِغَاءِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ

صورة الخطاب الصوفي السلفي الشرعي التاريخي
الذي كتبه مولانا الامام محمد زكي ابراهيم
رائد العشيرة وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية،
الى أحد خواص مريديه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

حمداً لله، وصلاةً وسلاماً على مصطفىاه، وعلى آله وصحبه
ومن والاه، في مبدأ الأمر ومنتهاه.

ورضى الله تعالى عن أشياخنا في الله، ورحم الله من سبقنا
من إخواننا إليه، ووفق أحياءنا إلى ما يحبه ويرضاه.

أمَّا بعد: فهذا خطاب صوفي جامع، كتبه شيخنا الإمام
الرائد إلى أحد كرام مريديه، احتوى على دُررٍ من بديع البيان،
وغُررٍ من فيض الرحمن، وقد كان له دويٌّ بالغ في الأوساط
الصوفية وغيرها.

وكان من فضل الله تعالى أن طبع هذا الخطاب مرات
عديدة، مفرداً أو ملحقاً بغيره، ونشر بالصحف المصرية
على حلقات في شهر رمضان المبارك، كما انتشر على الشبكة
العالمية (الانترنت)، وترجم إلى اللغة الإنجليزية^(١)، ترجمه

(١) الخطاب، وترجمته الإنجليزية، تم نشرهما على الموقع الإلكتروني:

دعاء

دعا فضيلة مولانا الإمام الرائد رحمه الله تعالى
لأحد الأخوة في خطاب له فقال:

« أَذَلَّ اللَّهُ كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَجَعَلَ
نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ هِبَةً لَكَ لَا عَارِيَةَ عِنْدَكَ ،
وَأَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ بَطْرِ الْغِنَى ، وَذَلَّ الْفَقْرَ ،
وَفَرَّغَكَ اللَّهُ لِمَا خَلَقَكَ لَهُ ، وَلَا شَعْلَكَ بِمَا تَكْفَلُ
بِهِ لَكَ ، وَأَعَادَكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَعَلَبَةَ
الدِّينِ وَالْمَرَضِ ، وَجَعَلَ لِسَانَكَ رَطِيْبًا بِذِكْرِهِ ،
وَقَلْبَكَ حَيًّا بِشُكْرِهِ ، وَبَدَنَكَ هَيِّنًا لِيَتَنَا فِي طَاعَتِهِ ،
وَزَيْنَكَ بِالْمَحَبَّةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » .

ونحن ندعو بهذا لكل أخ في الله يجيب دعوة

الداعي إذا دعاه .

أمانة الدعوة

الأخ الفاضل الشيخ يوسف محيي الدين البخور الحسني، وترجم أيضاً إلى اللغة الفرنسية ترجمه الأخ الفاضل الأستاذ المرتضى^(١)، ويقوم بعض الأخوة الصالحين بترجمته إلى (اللغة الأردية).

وهذا الخطاب ليس إلا قطعة أدبية رائعة، تسري فيها روح حكم ابن عطاء الله السكندري، وتشتم منها عقب رسالة الإمام الغزالي: (أيها الولد المحب)، احتوى على لطائف الرسالة القشيرية، وتأصيل (قواعد التصوف) للإمام أحمد زروق، وإيضاحات ابن عجيبة، فهو خطاب للروح والوجدان.

والخلاصة - أيها الأخ المبارك - أنه خطاب جامع ممتع، فيه قواعد وفوائد، وإشراقات روحية ورقائق، وإشارات صوفية ودقائق، يستفيد منها العامة وأهل الاختصاص، وكلما كررت النظر وجدت المزيد.

ويجدر بك - أيها الأخ المبارك - أن تستوقفك تلك العبارة الملهمة المحببة إلى النفس « يا ولدي » التي تخللت مقاطع

(١) الترجمة الفرنسية للخطاب منشورة على الموقع الإلكتروني:

الخطاب وفصوله، والتي كثيراً ما كان يخاطب بها سيدي الأستاذ الإمام محمد زكي إبراهيم تلاميذه، والتي تجدها في كثير من كتاباته، وللعبارة أثرها الروحي، ووقعها النفسي، فهي تجمع معاني الأستاذية والإرشاد والتربية والتزكية، مع مشاعر الأبوة الحانية من تنبيه ونصيحة وتحذير، وخوف على التلميذ أو المريد، وتدل على صدق وإخلاص وبذل، كل تلك المعاني الجليلة تخرج في نفس واحد وكلمة واحدة، مما يوقظ الشعور، ويوثق الرابطة، ويهيئ النفس للتلقي والقبول.

وقد كانت نفسي تذهب بي كل مذهب كلما سمعتُ هذه الكلمة من شيخنا رحمه الله تعالى، وأحس أنها تخرج من أعماق قلبه، فكلمنا قال (يا ولدي) تترادف على تلك المعاني جميعاً في صور متتابعة، تشعرك بمزيد خصوصية، وبشيء من سر الاختصاص، يقف عنده من يتذوق معاني الكلمات.

وأحسب أن هذه الكلمة وأمثالها، تمثل في حد ذاتها، باباً عظيماً من أبواب التربية والسلوك، بل باباً عظيماً من أبواب الحياة الاجتماعية، والطب النفسي، وتربية النفس.

وهي من ميراث الصالحين، فيها هو الإمام الغزالي يخاطب تلميذه بقوله «أيها الولد المحب» في كل مقطع من نصيحته المسماة بالرسالة الولدية، بينما نجد الشيخ نجم الدين كبرى في «فوائح الجمال وفوائح الجلال» يكرر قوله: «يا حبيبي»، بينما اختص سيدي عبد القادر الجيلاني بقوله: «يا غلام» في كتبه، ويصدر سيدي أحمد الرفاعي كلامه بقوله: «أي سادة»، وقبل هؤلاء جميعاً نجد القرآن الكريم قد سجل قول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف «يا بني»: ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾، وقالها لإخوته: ﴿وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابَ وَجْدٍ﴾، ويبدأ بها لقمان وصيته لابنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، ويكررها لقمان في وصيته: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾، ﴿يَبْنَىٰ أَقْرَبُ الصَّلَاةِ﴾.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من عباده الصالحين.

وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

عن أمانة الدعوة

محبي الدين حسين يوسف الإسنوي

خطاب صوفي جامع

من الإمام الرائد إلى أحد كرام مريديه

.....

يا ولدي:

سألتني عن التصوف الحق، وها أنا ذا - بإذن الله - أكتب إليك شيئاً مما يحضرنى من (هوامشه)، وأوجهك إلى بعض آفاق مشارفه، لتتعرف على بعض حقائقه، فأنقل إليك بعض ما قال رجاله، وما بلغني إليه حاله، وما كان من فيض الحق جل جلاله. وقد يفوتني التنسيق والتزويق، ولكنني أسأل الله ألا يفوتني التحقيق والتوفيق.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لَا أَحْسِنُ، أَوْ أَقُولَ مَا لَا أَعْلَمُ، أَوْ أَمَارِي فِي حَقِّ أَعْتَقِدُهُ، أَوْ أَجَادِلَ عَنِ بَاطِلٍ أَنْتَقِدُهُ، أَوْ أَتَّخِذَ الْعِلْمَ صِنَاعَةً، أَوْ الدِّينَ بَضَاعَةً، أَوْ أَطْلُبَ الدُّنْيَا بِنِسْيَانِ رَبِّ الدُّنْيَا، أَوْ أَعْمَلَ لِلْآخِرَةِ رِيَاءً وَزُوراً».

يا ولدي:

قالوا: التصوف العملي تجربةٌ تصل بك إلى التدوق والصفاء والمشاهدة والوصول إلى سرِّ الذات^(١)، والخلافة على الأرض، وسيله: العلم والعبادة، فلا يغني عنك فيه سواك، فإنه لا يمكن أن يتذوق لك منه غيرك، كما لا يمكن أن ترى بعين رَجُلٍ آخر.

فهل تستطيع أن تعرف طعم « التفاح » مثلاً دون أن تمضغه بالفعل؟ وهل يكفي أن تنظر إلى العسل، أو أن تعرف مكوناته لتتمتع بحلاوته، دون أن يحتويه الفم أو يعركه اللسان؟

وهل يمكن أن يتحقق الشبع، أو ينطفئ العطش بالتصور والخيال دون تناول الطعام والشراب، فعلاً وواقعاً؟ طبعاً: لا.

وكذلك لا يغني في هذه التجربة مجرد العلم، ولا تُوصَّل إليها دروبُ الفلسفة، فالعلم والفلسفة أعمال عقلية، وهذه

(١) ليس المقصود بسر الذات الإحاطة بكنه ذاته تعالى، معاذ الله، بل المقصود معرفة الإنسان لذاته، فمن عرف نفسه بالعجز والافتقار فقد عرف خالقه بالقدر والافتقار، ومن عرفها بالضعف والذل عرف ربه بالقوة والعزة.. وهكذا. اهـ مصححه .

التجربة من الأعمال القلبية الوجدانية، وسَتَّان ما بينهما، غير أن التعبيرات الصوفية إذا عولجت بالإحساس والتعمق، والمعاناة والتذوق، كانت قادرة على تغيير الباطن الذي به يتغير الظاهر، فيولد الإنسان ولادة جديدة، كلها إشراقٌ وحبٌ وبركة وإنتاج.. هكذا قال الشيوخ!

أمَّا مجرد قراءة كتب التصوف بلا معاناة، فهذه متعة ذهنية، وثقافة عقلية، وقد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقاً إلى الضلالة طرداً أو عكساً.

أمَّا المنح الروحية، والإشراقات القلبية، فهي نتيجة الجهود والأعمال، فالصوفية أرباب أحوال، لا أصحاب أقوال، ولم ينل المشاهدة من ترك المُجَاهَدَة .

يا ولدي:

إنَّ التصوف خدمة تكيف بحاجة كل عصر، وكل إنسان، وكل وطن، فهي تجسيد شامل لعملية الاستخلاف

على الأرض، ثم إن الهداية أيضاً: جهد ومعاناة، والشيخ دليل فقط، فمن لم يسع لم يصل، ومن لم يلتمس المعارج لا يتسامى ولا يرتقي، ومن لم يتحرك لم ينتقل، ومن اعتمد على ما عنده وحده اغتر، فتاة وصل.

وفي ذلك أقول^(١):

يقول: هل اتخذ الشئ سخ محتوم على القاصد؟
فقلت: وهل تربي قـ ط مولود بلا والد؟
وهل يتم اليتيم كفا ه فاستغنى عن الرافد؟
وهل أبصرت مكفو فأ ولا يحتاج للقائد؟
وهل علم، وهل فن بغير المرشد الراشد؟
وكيف يسير في الصحـ را غريب؟ أعزل وافد؟
وباب الله مفتوح ولكن من هو الرائد؟
تأمل ما أتى «موسى» وقصته مع العابد
تأمل بعثة «الهادي» ففيها الشاهد الخالد

(١) ديوان البقايا، للإمام الراحل رحمه الله .

يا ولدي:

إن نسبك إلى الله أصح من نسبك إلى أبيك .

ثم إنه من استأذن على الله أذن له، ومن قرع بابه تعالى أدخله، ونحن إنما نشير إلى الحقيقة، ونبين السبيل، وندع المرید الصادق ليصل إلى غاية الطريق بجهد، فليس شيخك من سمعت منه، ولكن شيخك من أخذت عنه، ومن جاهد: عدل، ومن اجتهد: وصل .

يا ولدي:

الشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة جاءت بتعريف الحق .

فالشريعة أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهدة .

ثم إن الشريعة قيام بما أمر به وبصر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر .

وهذا رسول الله ﷺ: الشريعة أقواله، والطريقة أفعاله،
والحقيقة أحواله.

فشريعة بلا حقيقة: عاطلة، وحقيقة بلا شريعة: باطلة،
ولهذا قالوا: « مَنْ تَشَرَّعَ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ فَقَدْ تَعَوَّقَ أَوْ تَفَسَّقَ،
وَمَنْ تَحَقَّقَ وَلَمْ يَتَشَرَّعْ فَقَدْ تَهَرَّطَ أَوْ تَزَنَّقَ ».

واعلم - يا ولدي - أن الشريعة ليست إلا الحقيقة،
والحقيقة ليست إلا الشريعة، فهما شيء واحد، لا يتم أحد
جزأيه إلا بالآخر، وقد جمع الحق تعالى بينهما، فمحال أن يفرق
إنسان ما جمع الله .

ثم تأمل - يا ولدي - قولك « لا إله إلا الله » هذه حقيقة،
« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » هذه شريعة . فلو فرق بينهما أحد هلك،
فإن من ردَّ الحقيقة: أشرك، ومن ردَّ الشريعة: ألحد (١).

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَجِدُ الشَّرِيعَةَ، ﴿وَأِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ تَجِدُ الْحَقِيقَةَ، وهما شيء واحد يستحيل طرح

(١) والمشرك والملحد: كافران .

أحد جزئيه .. عبادة العبد: ظاهر الأمر، وإعانة الله: باطنه،
ولا بُدَّ لكل ظاهر من باطن، كالرُّوح في الجسد، والماء في العود.
الحقيقة من الشريعة، كالثمر من الشجرة، والأريج من
الزَّهْرَة، والحرارة من الجمرَة، فلا بُدَّ من هذه لتلك، فاستحال
قيام حقيقة بغير شريعة.

يا ولدي:

انظر بعين عقلك وقلبك إلى هذا الدعاء، الذي يناجي به
أحدُ العارفين من أشياخنا ربَّه، فيقول:

« إلهي: إِذَا طَلَبْتُ مِنْكَ الدُّنْيَا فَقَدْ طَلَبْتُ غَيْرَكَ (١) »

وَإِذَا سَأَلْتُكَ مَا ضَمِنْتَ لِي فَقَدْ أَتَهَمْتُكَ (٢) .

(١) لأن الدنيا كلها ملك الله تعالى، فكيف يترك المالك ويطلب
المملوك!؟

(٢) ما ضمنه الله تعالى أشياء كثيرة، منها الرزق، وقد أقسم الله تعالى
أنه حقُّ فقال: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٣) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ لَحَقِّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٤﴾، وقد سمعها عربي فقال:
« مَنْ أَغْضَبَ رَبَّ الْعِزَّةِ حَتَّى أَقْسَمَ ؟ » .

ومن هنا كان واجباً، لا يمكن تحصيله بمجرد القراءة،
ويبدو ذلك واضحاً في هؤلاء الذين يدرسون التصوف علماً،
ولا يمارسونه عملاً!! وهم يحملون أعلى الألقاب العلمية،
وكان يسميهم والدي « عربات النقل البشرية » أو « سعاة بريد
المعرفة »، إنما التصوف رفع الأستار عن أسرار الكونيات،
لإدراك أنوار شمس الحقائق، فلا بد - مع العلم - من
المعانة والممارسة .

والتصوف: التقوى، والتصوف: التزكية، وهما مقام يجمع
الخوف والرجاء، وينهض بالعقيدة والخلق، وبه تتحقق إنسانية
الإنسان، وإنه ما من آية في القرآن إلا وهي تربط الدنيا بالآخرة،
وتجعلها وسيلة إليها، من باب التقوى وطريق التزكية .

ألم يقل الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾، و ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
رَزَقَهَا ﴾. ألم يكن من سِرِّ الرِّسَالَاتِ: التزكية ﴿ وَيَعْلَمُهُمْ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾.

نعم: التَّصَوُّفُ أدب، والعقيدة أدب، والعبادة أدب،
والمعاملة أدب.

وإِنْ سَكَنَ قَلْبِي إِلَى غَيْرِكَ فَقَدْ أَشْرَكَتْ بِكَ ^(١) !!
جَلَّتْ أَوْصَافُكَ عَنِ الْحُدُوثِ فَكَيْفَ أَكُونُ مَعَكَ ^(٢) ؟
وَتَنَزَّهَتْ ذَاتُكَ مِنَ الْعِلَلِ، فَكَيْفَ أَكُونُ قَرِيباً بِذَاتِي مِنْكَ ؟!
وتعاليتَ عن الأغيار، فكيف يكون قوامي بغيرك ؟! .

إنَّه كلامٌ كأنَّه صدىٌّ مِنْ رُوحِ الْقُدُسِ، وكأنَّما اقتبسَه
الشيخُ مِنْ أَلْحَانِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ، وَمَنْ حَوْلَهُ، وَمِنْ
تَسَابِيحِ الْأَرْوَاحِ الْمَهِيْمَةِ بِأَفَاقِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، كَلَامٌ فِيهِ رَائِحَةُ
مَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَقْبَاسٌ مِنْ أَضْوَاءِ
سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَلَامِحٌ مِنْ صَدَى الْحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ .

إنَّ التَّصَوُّفَ - عِنْدَنَا - هُوَ « عِلْمُ فِقْهِ الْمَعْرِفَةِ »، فَهُوَ تَصْحِيحُ
الْإِسْلَامِ، وَتَحْقِيقُ الْإِيمَانِ، وَتَأْكِيدُ الْإِحْسَانِ ^(٣) .

(١) ومن سكن قلبه إلى غير الله فقد أشرك، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَبَنِي
رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

(٢) لأن الحوادث لا يكون معه إلا حادث مثله، والمعية التي يقصدها
الشيخ هنا المعية القلبية .

(٣) هي مراتب الحديث المعروف الذي ذكر فيه رسول الله ﷺ :
« الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه »، وهو حديث معروف مشهور
بين أهل العلم .

وهنا يصل العبد إلى رتبة (الربانية) بالعلم والدرس
والممارسة: ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ .

يا ولدي:

الصُّوفِيُّ أَكْثَرُ مِنْ « فقيه »، فالفقيه وقف عند الأقوال (١).
والصُّوفِيُّ أَكْثَرُ مِنْ « عابد »، إذ العابد وقف عند الأعمال . أمَّا
هو فقد جَمَعَ بينهما، فأثمر « الأحوال » .

والصُّوفِيُّ أَكْثَرُ مِنْ « زاهد »، إذ الزاهد في الدنيا زاهدٌ في
لا شيء . أمَّا الصُّوفِيُّ فلا يزهد إلا فيما يحجبه عن الله، وبهذا
يجعل الدنيا في يده، لا في قلبه .

(١) قال ابن كثير رحمه الله تبارك وتعالى، وهو أحد تلاميذ ابن تيمية
رحمه الله تبارك وتعالى، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ ﴾ [الآية ١٨ من سورة المائدة]: « وقال
بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب
لا يعذب حبيبه؟! فلم يرد عليه؛ فتلا عليه الصوفي هذه الآية ﴿ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾، وهذا الذي قاله: حسن... إلى آخر ما قال
رحمه الله تعالى رحمة واسعة، فراجعه هناك لتستفيد .

وهكذا يصبح التصوف فرض عين، لأنه « طَلَبُ الكَمَالِ »،
وما من مخلوق إلا وفيه نقص يجب استكماله، وبالتالي كان كل
عِلْمٍ يمكن الاستغناء عنه إلا التصوف، لأن موضوعه: الذات
والرُّوح، وعلاقة الوجود بالوجود، وارتباط الغيب بالشهادة،
والملك بالملكوت، وكلُّ عِلْمٍ بعد هذا فهو: نافلة .

جاء شابٌ إلى مرشد صوفي، فقال له: يا ولدي: « إن كنت
تريد الدنيا والجنة فعليك بـفقيه، وإن كنت تريد رب الدنيا ورب
الجنة فهلم إلينا » .

نعم، مَنْ وَجَدَ اللهَ فَمَا فَقَدَ شيئًا - وإنْ فَقَدَ - . وَمَنْ
فَقَدَ اللهَ، فَمَا وَجَدَ شيئًا - وإنْ وَجَدَ - . فشؤون الدنيا كلها
كشؤون الآخرة كلها، ﴿ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

يا ولدي:

البَشَرُ مَدْرٌ، لَا يَخْلُو مِنْ كَدْرٍ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَى الخَلْقِ: هَلَكَ،
وَمَنْ نَظَرَ إِلَى الحَقِّ: سَلَكَ وَمَلَكَ .

ولكن عليك بخلوص النية من قيود المقامات، وأغلال الأحوال، وعبادة الآمال .

ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ، وَلَكِنَّ الْعَجَبَ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا !

يا ولدي:

إذا قيل: إنَّ التصوف من (الصفاء)، فقد أصبح اسم التصوف أعظم من أن يكون له جنس يشتق منه، لأن الشرط في الاشتقاق: التجانس، والموجودات كلها: ضد (الصفاء)، إنَّهَا كَدَّرَ (إلا ما كان لله)، ولا يشتق الشيء من ضده.

ثُمَّ إِنَّ (الصُّوفِي) هُوَ صَاحِبُ الْوُصُولِ.

و (المتصوف) صاحب الأصول.

والمستصوف (المتمصوف) صاحب الفضول.

وإذا رضي المحبوب: كشف المحجوب.

والتصوف: فناء صفة العبد ببقاء صفة المعبود، ومن هنا كان الصوفي هو الذي لا يَمْلِكُ ولا يُمْلَكُ، أي لا يَمْلِكُ نفسه، لأنه مِلْكُ اللهِ، وبهذا لا يَمْلِكُهُ غيره من مال، أو جاه، أو بشر، ثُمَّ إِنَّ صِحَّةَ الْمَلِكِيَّةِ تَكُونُ لِلْمَوْجُودِ، وَالصُّوفِيُّ فِي حُبِّ رَبِّهِ مَفْقُودٌ .

والمبتدئ في الصوفية يرى نفسه، ولكن يراها ناقصة، فهي - مع هذا - حجابٌ بينه وبين الله .

أَمَّا الْمُنْتَهَى فَقَدْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَرَاهَا بِالْكُلِّيَّةِ، لِأَنَّهُ يَرَى قِيُومَهَا الْمَوْجُودَ الْحَقَّ لَا سِوَاهُ، وَمَا لَا قِيُومِيَّةَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ عَدَمٌ مُجَسَّدٌ .

يا ولدي:

الصُّوفِيُّ قَائِمٌ بِرَبِّهِ عَلَى قَلْبِهِ، وَقَائِمٌ بِقَلْبِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَائِمٌ بِنَفْسِهِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ، وَهَذِهِ الْقَوَامَةُ هِيَ التَّحَقُّقُ بِالتَّصَوُّفِ الرَّفِيعِ: ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ .

والصوفي يُقِيمُ أَمْرَ الْخَلْقِ فِي مَقَامِهِ، وَيُقِيمُ أَمْرَ الْحَقِّ فِي مَقَامِهِ، فَيُظْهِرُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ، وَيَسْتُرُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَرَ، ويقوم بواجب وقته كأفضل ما يقوم رجل، وبه يستقيم عاتق الميزان بروح الربانية .

إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِالتَّصَوُّفِ، فَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّينَينَ يَمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ .

والربانية عندنا هي (التصوف)، فهي في الآية علم ودراسة، ومقتضى ذلك: العمل، والعمل الصحيح .

فالتصوف: هو الربانية، وهو التقوى، وهو التزكية، وثلاثتها شيء واحد، لا بد لبعضه من بعض، فلا ربانية بلا تقوى، ولا تقوى بلا تزكية .

وتستطيع أن تُسَمِّيَ ذلك جميعاً: البر ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ فاقراً آيات البرِّ من سورة البقرة وغيرها (١)، وسرى أن جماع ذلك وملاكه هو « الخلق » .

(١) منها: الآيات «٤٤» البقرة، و«١٩٢، ١٨٩، ١٧٧» آل عمران، و«٢٥» سورة المائدة، والمجادلة «٩٠» .

فالتصوف خُلِقَ « مَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ: زَادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ »، وبالتالي زاد عليك في الإنسانية، فنفع وانتفع، وأدى رسالة البشرية بروح سماوية عليّة .

وهكذا تشرق لك بعض معاني قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فما كان من عظمة في شؤون الدنيا والدِّين، فإنما هي أثر للخلق العظيم .

يا ولدي:

ليس للشيطان على الصوفي الصادق سبيلٌ، لأنّه تحقّق بالعبودية المحضة، فدخل في قُدُس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ .

وقد عرف الشيطان هذا واعترف به، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿، وقال: ﴿لَأَزِيْنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣١) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿، ومن ثمَّ كانت العبودية أعلى مراتب القرب: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ

الْفَرَقَانَ عَلَى عَبْدِهِ، ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ﴾، ﴿ نَعَمْ الْعَبْدُ ﴾،
﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ .

واعلّم - يا ولدي - وعلم الناس: أن التصوف الحقّ
مُقَيَّدٌ بأحكام الكتاب والسُنَّة، على أساس العزيمة، وحوار من
الصيرورة إلى الرُّخْصَة، إلا في حَدِّها المحدود، فالتصوف -
من حيث هو - عِلْمٌ وَعَمَلٌ، وَخُلُقٌ وَعِبَادَةٌ، وَجِهَادٌ وَدَعْوَةٌ ..
هُوَ أَصْلٌ مُؤَصَّلٌ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ، وَحَثَّ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ كَمَا
رَأَيْتَ، فَهُوَ كَمَا قَلْنَا « طَلَبُ الْكَمَالِ »، وَكُلُّ امْرَأٍ - مَهْمَا
يَكُنْ شَأْنُهُ - فِيهِ وَجْهٌ، أَوْ وَجْوهٌ مِنَ النِّقْصِ، وَبِهَذَا يَصْبِحُ
التَّصَوُّفُ وَاجِبًا عَيْنِيًّا، لَا عِذْرَ لِأَحَدٍ مَعَهُ .

(هذا هو تَصَوُّفُنَا)، وهو (علم فقه المعرفة)، ولا شأن لنا
بتصوف الآخرين، و﴿ كُلُّ امْرَأٍ يَمَّا كَسَبَ رَهِيْنًا ﴾ .

وهكذا يكون الصوفيُّ هو (المسلم النموذجي)، تمثيلاً
للإنسانية الرفيعة، واندماجاً في موكب الحياة الزاخر بالجدِّ
وبالمجد، والعمل الروحي، والعمل الحضاري الخالد.

يعيش الصوفيُّ: بَدَنٌ مَعَ الْخَلْقِ، وَرُوحٌ مَعَ الْحَقِّ، الْفَرْقُ
فِي لِسَانِهِ، وَالْجَمْعُ مَعَ جَنَانِهِ^(١)، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَمَلَ مَعَ الْغَفْلَةِ
خَيْرٌ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ الْعَمَلِ !!

يا ولدي:

التصوف دعوة « الحُبِّ » الذي فقده الناس، ففقدوا الحقيقة
الإنسانية في الأجساد البشرية .

والحُبُّ هو: الخُصِيصَة المميّزة للسالك الصوفي، فهو
يحبُّ الله، وبالتالي يحبُّ خلق الله، فهو يحبُّهم بحب ربهم، وهو
بحكم حبه لهم يسعى في خيرهم وبرهم .

وتصوّر - يا ولدي - مجتمعاً يحكمه: الحُبُّ، والسَّلَامُ،
والتَّسَامُحُ، والتَّيسِيرُ، واللين، والتعبد، والتعاطف، والشرف،
والإيثار، وتحرُّرُ معالي الأمور؛ كيف يكون أفرادُه؟ وكيف
تمضي حضارته؟! .

(١) الجنان: بفتح الجيم: القلب .

إنَّ العنْفَ، والقسوةَ، والقهرَ، والتعالِي، والخبثَ، والتغالي،
والبداءةَ، والتعلمَ، والاندفاعَ، وأذى الناسَ: أقذارٌ لا يعرفها
التصوف.

واسمع الآن الشاعر الصوفي يحدو على شاطيء الحب
قائلاً:

رأى المجنونُ في الصَّحْرَاءِ كَلْباً

فَمَدَّ لَهُ مِنَ الإِحْسَانِ ذَيْلاً!

فلاموه على ما كان مِنْهُ

وقالوا: كم أَنْلَتِ الكَلْبَ نَيْلاً؟

فقال: دَعُوا المَلَامَةَ إِنَّ عَيْنِي

رَأَتْهُ لَيْلَةً فِي حَيٍّ « لَيْلَى »

يا ولدي:

يقول السادة رضي الله عنهم:

« سِرُّ الحَقِيقَةِ ظَاهِرٌ، وَعَلَمُ المَعْرِفَةِ مَنْصُوبٌ، وَبَابُ

الوُصُولِ مَفْتُوحٌ؛ وَمَا حَجَبَكُمْ إِلَّا رُؤْيَا أَنْفُسِكُمْ، فَعَشَّشَ
فِيهَا الكِبْرَ وَبِأَضَ وَأَفْرَحَ !!»، والكِبْرُ مِيرَاثُ إبليس .

وهم يقولون رضي الله عنهم:

« الطَّرِيقُ وَاضِحٌ، والدَّلِيلُ لَائِحٌ، والدَّاعِي أَسْمَعٌ، فَأَقْتَعَ
وَأَمْتَعَ؛ وَمَا التَّحْيِيرُ بعد ذلك إِلَّا مِنْ غَفْلَةِ النَّفْسِ، وَغَلْبَةِ
الهُوَى، واعتقادِ الفُضْلِ على السُّوَى ».

يا ولدي:

لقد كان التصوف ثورة على الترف والاستعجاب والانحلال
واللامبالاة؛ فإذا دخلته المغالاة، فتلك طبيعة الأشياء، وهذه
قصة الصحابة الذين أرادوا أن يصوموا بلا فطر، وأن يعيشوا
على الطعام الرمزي، وأن يتركوا النساء والأولاد، وأن يصلوا
الليل بالنهار: تَعَبُدًا وانقطاعاً عن الحياة، فنهاهم الرسول ﷺ،
وأرشدهم إلى الوسطية والاعتدال^(١) ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا ﴾.

(١) كان فيما قال لهم رسول الله ﷺ: « مَنْ رَغِبَ عَن سُنتِي فليس منِّي »
متفق عليه .

كان ذلك والوحي ينزل، والرسول ﷺ حي، فإذا داخل
التصوف الغلاة والمتنطعون، واستبدلوا حكم إحياء النفس
بقتل النفس، أو اختاروا الخبيث على الطيب؛ فليس هذا عيباً
في التصوف نفسه؛ فالتصوف شيء غير المتصوف، ولا يمكن
أن يحمل الإسلام وزر المسلم الذي ينحرف، وهل يترك المسلم
التقي إسلامه لأن في المسلمين قوماً ضلوا السبيل؟!.

التصوف دعوة إلى الحرية المطلقة، والسِّيادة التامة على
النفس والشهوة، وعلى الشيطان، وعلى العبودية لغير الله، وعلى
كل صغار خلقي أو فكري، فهو أضلّ التحرر المطلق من أغلال
المادة والهوى، لأن الصوفي قد تحقق بقوله: « لا إله إلا الله ».

فالتصوف - يا ولدي - كما رأيت، فوق أنه دعوة الحب
والنور، والفيض والبركة والمدد، هو دعوة الحرية المطلقة، ورفض
كُل عبودية - حسية أو معنوية - لغير الله، فهو - يا ولدي - ردُّ
اعتبار الإنسانية للإنسان، بعد ما فقد الإنسان اعتباره، واستعبده
المادة، ومكاره الأخلاق، والكيوف المتحكّمة، والشهوات
المظلمة، والآمال المعتمة .

التصوف - يا ولدي - هو ترميم بناء الباطن بعد أن تحطم
الإنسان من داخله .

التصوف الحق: دعوة إلى القُوَّة، والعلم، والتوحيد،
والعزة، والعدالة، والمساواة، والإحياء، والتكافل، والتكامل،
والتجديد، والابتكار، والسِّيادة، والقيادة، لأن الله خلق المسلم
الحق ليُمَارَس كُل هذا وما يترتب عليه، وما يتفرع عنه، قولاً
وعملاً وحالاً ﴿ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ ﴾، ولكل كلمة من كل ذلك شرح عريق عميق،
أصله الكتاب والسنة، وفرعه الفيض والمدد.

وهكذا كان من فاته التصوف الحق، فقد فاته الخير الذي
قد لا يعوّض على الإطلاق، وأي خَيْر يكون إذا انقطعت
علاقة المرء بالسماء، وما وراء هذا من الأسرار والأنوار؟! .
إن عند « الصوفية » ما عند الناس، وليس عند الناس ما
عند « الصوفية » .

يا ولدي:

قد يعترض عليك بعضهم بأقوالٍ لم يفهمها مما جاء عن بعض السلف، والسلف بشر، فإن أخطئوا فوزرهم على أنفسهم، ولا نُسأل عنهم، ولا نُواخِذُ بما اجترحوا، ﴿وَلَا نُزِرُّ وَأَزِرُّ وَزَرَ أُخْرَى﴾.

ولكننا نعتقد أنهم أرادوا الخير، وكانت لهم ظروفٌ وصروفٌ وملايسات، أجبرتهم على الرمز والإشارة، أو إلى الإلغاز والتحجية، وما دامت أقوالهم تقبل التأويل الإيماني - ولو من وجه واحد من مائة وجه آخر - فإننا نحمله على هذا الوجه الواحد المؤمن، بحسن الظن، وبحكم العلم، وندع ما وراء ذلك لله وحده، فليس أحد يقول أو يكتب شيئاً وهو يعتقد أنه يدخل به النار!! وليس من حَقِّ أحد أن يحكم على أحد بالخروج من الملة إلا بدليل لا شبهة فيه « على مثل ضوء الشمس »^(١).

(١) قال رسول الله ﷺ: « على مثل الشمس، فاشهد أو دَعُ » رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً، ولفظه: « إذا علمت مثل الشمس فاشهد، وإلا فدَعُ » ورواه الديلمي بلفظ « يا ابن عباس، لا تشهد إلا على أمرٍ يضيء لك كضياء الشمس »، ورواه الطبراني والديلمي أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ونحن نعتقد أن لكلام القوم مفاتيحٍ لمستغلقاتٍ مترامية الأبعاد، فهي لخاصة الخاصة، فما لم نفهمهم على مرادهم اليقيني فلندع الله أمرهم، ولنستغفر الله لنا ولهم.

ونقول: لعلهم تأولوا، أو اجتهدوا فأخطأوا، هذا موقفنا: مبرءٌ آمن الوغى^(١) والدعوى، على طريق الحب والخير والأدب.

يا ولدي:

غَايَةَ كُلِّ مُتَحَرِّكِ إِلَى سُكُونٍ، وَنَهَايَةَ كُلِّ مُتَكَوِّنٍ إِلَّا يَكُونُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلِمَ التَّهَالُكُ عَلَى الْهَالِكِ؟!.

يقول أשיاخنا رضي الله عنهم:

أَصُولُ صُحْبَتِنَا سَبْعَةٌ:

١- عُلُوُّ الْهِمَّةِ .

٢- وَحِفْظُ الْحُرْمَةِ .

(١) الوغى: الصوت والجلبة.

٣- وَحُسْنُ الخِدْمَةِ .

٤- وَنُفُوذُ العِزْمَةِ .

٥- وَتَعْظِيمُ النِّعْمَةِ .

٦- وَالتَّضَحُّعُ لِلأُمَّةِ .

٧- وَدَفْعُ الباطِلِ بِالْحِكْمَةِ .

وهم يقولون: « إِذَا أَلْفَ القَلْبُ الإِعْرَاضَ عَنِ اللهِ،
صَحِبَتْهُ الوَقِيعَةُ فِي أولِيائِهِ »^(١).

وَقَلَّمَا رَأَيْتَ فِي خِصُومِ التَّصَوُّفِ رِقَّةَ الإِسْلَامِ، أَوْ سَعَةَ
الأَفْقِ، أَوْ سِمَاحَةَ النُّبُوَّةِ، أَوْ رَفَقَ الوِلَايَةِ، أَوْ حَسْنَ الظَّنِّ، أَوْ
أدبَ المَعَامَلَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَلَهُ إِتْمَا يَنْبَغُ مِنْ مَعِينِ التَّوَاضُعِ، الَّذِي
هُوَ خَيْرَةٌ « مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ ».

وهؤلاء قد حُرِّمُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ إِلا جَافٌ

(١) مِنْ قَوْلِ الإِمَامِ المَجْمَعِ عَلِيٍّ جَلَّالَتِهِ أَبُو تَرَابِ النُّخَشَبِيِّ (المُتَوَفَى
٢٤٥ هـ)، انظُرِ الرِّسَالَةَ القَشِيرِيَّةَ ص ١١٩. اهـ مصححه

الطبع، معتم القلب، غليظ الروح، ثقیل الظل، مظلم، معتم،
كأنما هو سَجَّانٌ فَظٌّ، أو صاحب « مشنقة » كَنُودٌ؛ فهو متأزم،
معقَّد، حامل غلٌّ على الذين آمنوا^(١)، يكاد الكبير يتفجَّرُ من
جَنِّيَّتِهِ، تعالياً على النَّاسِ، وتألهاً عليهم، فقد زعموا لأنفسهم
العصمة وضمأن الجنة، وأقاموا من أشخاصهم أوصياء على
دين الله، كآئمة الدِّين ما عندهم وحدهم، إلا مَنْ رَحِمَ اللهُ،
وقليل ما هم.

ويعلم الله أننا نأسى لهم، ونعطف عليهم، مما ابتلاهم الله
به، وندعو الله بظهر الغيب لهم، ولا نزال نعتقد أن فيهم خيراً،
نرجو أن يغلب عليهم، وما ذلك على الله بعزيز.

إِنَّ النَّاسَ لا يَطْلُبُونَ اللهَ وَالجَنَّةَ بِمَا صَحَّ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، وَإِنَّمَا
يَطْلُبُونَ ذَلِكَ بِمَا صَحَّ عِنْدَهُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَأَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا
فَأَجْرٌ^(٢)، وعند الله مزيد، ولكل امرئ ما نوى.

(١) أَيْنَ هَؤُلاءِ مِنْ قَوْلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْفِ لَنَا لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الآية ١٠ من سورة الحشر].
(٢) لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك .

يا ولدي:

هذه لمحة « على هامش التصوف »، وأرجو أن يكون لي عودة إلى مثل هذا الحديث معك، إن كان في العمر مدد، فهو حديث غير ممنون: ذو شؤون وشجون !!.

وإني أقول ما قال السادة: « لو أَنَّ الخاطئين خَرَسُوا ما تَحَدَّثْنَا مِنْ البِكمْ »، ويعلم الله لو كان للذنوب ريح ما دنا منَّا أحد^(١).

أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم وللمسلمين.

وهو الموفق المستعان.

* وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ *

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشاذلي

رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

(١) قال الشاعر رحمه الله تعالى:

أحسنَ الله بنا أنَّ الخطايا لا تفوحُ

فإذا المستور منَّا بين جنبيه فضوحُ

معلومات عن الطريقة المحمدية

(١) الطريقة المحمدية: طريقة صوفية، سلفية، شرعية مستنيرة، معترف بها رسمياً، أساسها: علم الكتاب والسنة، وهي تنتسب إلى سيدنا « محمد ﷺ »، ظاهراً من طريق الأشياخ، وباطناً من طريق التلقي الروحي المباشر، من الحضرة النبوية الشريفة.

(٢) سند الطريقة: شاذلي أصيل، من طريق الإمام ابن ناصر الدرعي، الذي ينتهي إليه نسب خاصة فروع السادات الشاذلية المباركة؛ فهي أخت شقيقة لكل السادات الشاذلية الشرعية.

(٣) وللطريقة أنساب أخرى للتيمن والتبرك متصلة بالأقطاب الأربعة المشاهير، ثم بالسادات الخلوتية والنقشبندية، والتيجانية والكتانية وغيرها؛ ولهذا فنحن نحب جميع الطرق الشرعية، ونعتبر أننا أبناء عمومة روحية في الله تستوجب التعاون والمودة قولاً وعملاً.

(٤) ليس في طريقنا طبلٌ ولا زمر، ولا رقص ولا مواكبٌ،
ولا راياتٌ ولا أوشحة، ولا شعوذةٌ ولا تجارة، ولا ضرائب
ولا مكوس، ولا أكل لأموال الناس بالباطل، ولا يجوز
عندنا التظاهر والتفاخر على الإطلاق، وإنما هي صورة
صحيحة من أعمال السلف الصالح .

(٥) طريقتنا هذه للخواص أساساً، ثم هي لصفوة الجماهير
الراشدة، وطلاب الحقيقة والنور؛ فلا بد لكي تستكمل
ثقافتك عن (الطريقة المحمدية) من أن تطالع (مطبوعات)
الطريقة، لتعرف مدى شرعيتها وتساميتها، مما يتناسب مع
كل إنسان في كل زمان ومكان، متناسقة مع مطالب
الحياة، وتطور الواقع، وكرامة الإنسان، وخدمة الدين
والوطن .

(٦) فلا بد من مطالعة كتاب (البداية)، و (الدليل المجمل)،
و (المنهج)، وأعداد مجلة (المسلم)، وكتاب (البيت
المحمدي)، ثم الكتب الأساسية (أصول الوصول -
أبجدية التصوف - الوسيلة والقبور) لتدفع عن قلبك

وعقلك ما يشيره خصوم التصوف وأدعيائه من شبه
مُضَلَّلة واستشكالات باطلة، تعصباً لغير وجه الله .

(٧) يشترط عندنا لقراءة الأوراد والأحزاب والأذكار والأدعية
(منفرداً أو في جماعة): حسن التوجه، وتمام الأدب،
وصحة النطق، والفهم ولو إجمالاً، واستحضار الرابطة
الروحانية، بعد التوبة والاستغفار والاستفتاح بشيء من
كتاب الله وأدعية رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٨) نحن نحب جميع أولياء الله، أحياءً وموتى، من كل مذهب
ومشرب شرعي، ونتبرك بهم جميعاً، وكما لا نفرق بين أحد
من رسله تعالى، لا نفرق بين أحد من أوليائه الصالحين،
ونترك الحكم بالأفضلية بينهم إلى الله، الذي لا يعلم الغيب
سواه، ونقرر أن من ادعى الولاية فهو كاذب، فالولي
لا يعلن عن نفسه .

والله الموفق المستعان .

ليس هذا من التصوف

ليس من التصوف الإسلامي: القول بمخالفة الشريعة للحقيقة، أو أن أهل الحقيقة لا يتقيدون بالشريعة، أو أن ظاهر الإسلام شيء غير باطنه، أو أن مسلماً عاقلاً رُفِعَ عنه التكليف.

وليس من التصوف: القول بالحلل أو الاتحاد، أو الوحدة التي تزعم أن الكون هو الله، والله هو الكون، وما جاء مما يوهم ذلك على لسان بعضهم فهو مؤول بما يوافق دين الله، أو هو مدسوس على القائل، أو هو مما قاله في حالة الفناء والغيوبة على لسان الحق عز وجل، ونحن نستغفر الله للجميع، ونحسن الظن بكل مسلم.

وليس من التصوف: الذكر على الطبل والزمر بأنواعه مهما كان.

وليس من التصوف: تحريف أسماء الله والرقص بها معطوبة، أو محاولة إلى أصوات ساذجة لا معنى لها، ولا قراءة الأوراد بغير فهم ولا إعراب.

وليس من التصوف: لبس عمام الریش، ولا حمل سيوف الخشب والصفیح، ولا القذارة، ولا البلادة، ولا البطالة، ولا الجهالة بدين الله، ولا ادعاء الولاية والمتاجرة بالكرامات.

من أقوال شيخنا الإمام الرائد

في النصيحة للإخوان والمريدين

هذه مجموعة من الأقوال الطيبة الجامعة، والحكم النافعة، كتبها نصيحة لتلاميذه شيخنا الأستاذ الإمام محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

قال رضي الله تعالى عنه وأرضاه:

- ١- الإخوان روح واحدة في أجساد متعددة.
- ٢- الإخوان أغصان متعددة من سرحة واحدة.
- ٣- الكسل واليأس من مفاتيح الذل والضياع.
- ٤- عليك العمل، وعلى الله النتيجة.
- ٥- العمل مع الغفلة خير من الغفلة عن العمل.
- ٦- التوكل على غير الله تأكل، وأعظم الكرامة لزوم الاستقامة.
- ٧- لا تكون الزهادة بالجهل والبلادة، وإنما هي بالجد والاستفادة، وإجادة العبادة.

٨- لا يكون الولي من رجال الدعاوى والظهور، وإلا فقد استدرجه زور الفجور، وغره بالله الغرور، وكان في دنياه في روض ومن أخراه في تنور.

٩- الخير والشر عدوى وتقليد، فأصلح الفرد تصلح الأسرة، تصلح أخرى، تصلح الناحية، تصلح المجموعة، تصلح الأمة.

١٠- على الأخ في الله: السمع والطاعة، فليس أضيع من الجامح في سوق الرضا، ولا أحمق من الهارب من سيف القضا.

١١- الأخ الأمي في ذمة الأخ القارئ، والأخ الفقير في ذمة الغني، والضعيف في ذمة القوي، فميثاق الأخوة يسجل الحقوق، ويرتق الفتوق.

١٢- تتألف جمعية (زاوية) الإخوان من خمسة، كما قام الإسلام من قبل على خمسة، هم:

(١) المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) أول من أسلم من الرجال (أبو بكر).

(٣) أول من أسلم من النساء (خديجة).

(٤) أول من أسلم من الموالى (بلال).

(٥) أول من أسلم من الصبيان (علي). عليهم الرضوان.

١٣- يجب أن تعظ الناس بأفعالك قبل أن تعظهم بأقوالك، فالناصح بغير حاله كالمنفق من غير ماله.

١٤- لا تورط نفسك في الكماليات، وجاهدها في ترك جميع المكيفات، ولا تجعل عليك سلطاناً لشهوة من الشهوات، واصبغ بيتك وقولك وعملك بصبغة الإسلام.

١٥- لا تفرط في الدين، ولا تنتنع فيه، واعمل جهدك بالسنن، واعلم أن التقوى في القلوب، والتزم الكمال والوقار والجد، وإياك وفضول القول والعمل.

١٦- التمس العزائم، واستحضر نشاطك وهمتك، واعذر الناس إن أخطأوا أو قصرُوا، وإياك والكسل، وإياك واليأس من روح الله.

١٧- لا تنقطع عن مجالس الإخوان، وارض بأحكامهم، ونفذها بأمانة، واحفظ تعاليمهم العشرة عن ظهر قلب، واستظهر ما استطعت الأوراد والأحزاب والأدعية الخاصة بهم.

١٨- عوّد لسانك النطق بالعربية، وثقف نفسك بالمعارف الإسلامية، وتعرف جهتك إلى السيرة النبوية، وفضل دائماً كل الأشياء الوطنية، والتقاليد العربية الإسلامية، وكن عملياً منفذاً ما اقتنعت به، غيوراً عليه.

١٩- احصر تعاملك بكل وسيلة مع الصناع والتجار والمحترفين من إخوانك، فإنها هم هم قرباك، وأحق بمودتك ونداك، وسدد ديونهم من زكاة مالك، ترض إخوانك ومولاك.

٢٠- اجعل لنفسك ورداً قرآنياً، واحمل المصحف صديقاً وولياً، واحفظ على الأقل أربعين حديثاً نبوياً، فإنها زادك إلى يوم تبعث حيا.

٢١- اكتف بأقل كسب ممكن في معاملة الإخوان، واصدقهم، وأحسن إليهم بما فضلوك، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

٢٢- اجعل من زكاة مالك وزرعك نصيباً مفروضاً لإخوانك، وأوص لهم بجزء من تركتك قبل موتك، وانو الحج واقتصد له من مالك وإن قل.

٢٣- ارجع في استشارتك وتقاضيك واستفتاءك إلى كبار إخوانك في الله، فإنهم عشيرتك وحزبك، لثلاث تفضل ولا تفتضح.

٢٤- اطلب العلم حيث كان، ولا تذكر إلا مع الإخوان، فالعلم مطالب تأتلف، والذكر مشارب تختلف.

٢٥- اعلم أن كل من لك عليه حق الولاية مطلوب منك شرعاً أن تربيه على مبادئ الإسلام ونخوته، وتلقنه تعاليم الإخوان ودروسهم، حتى يكون بيتك حرماً مسلماً، فيصبح وحدة بذاتها من وحدات كتائب الإخوان في جيش الله تعالى.

* ويقول شيخنا رضي الله عنه .

- ليس الطريق لمن سبق ، إن الطريق لمن صدق .

- مَنْ خالف عنا فليس منا ، وإن انتسب إلينا ، ومستوليته فيما يأتيه عليه لا علينا .

- مَنْ اعتنق مبادئنا ، وقرأ أوردانا ، فهو منا ، وإن لم نره ولم يرنا .

* ويقول شيخنا رضي الله عنه :

الراغب في مؤاخذتنا ليلعب كلمة الله تعالى ، ويؤدّي واجب خلافته عن الله نحو نفسه وأهله ووطنه ودينه ، على طُهر ونظافة ، ووضوح وانكشاف ، وتواضع مطلق ، وعلى رضا من الله ، ومن الشعب ، ومن الدولة ، بحمد الله تعالى .

فليعلم أولاً وأخيراً :

- أننا قلة فقيرة مؤمنة .

- وأنّ قوتنا في قلتنا ، وأنّ فخرنا في فقرنا ، وأنّ سرّ نجاحنا في إيماننا .

- وأننا نؤمن بالتعبد والفضيلة والعلم والعمل ، وأننا نكره التفاخر والتظاهر والتكاثر والدعاوى .

- وأنّ سبيلنا (الحق) ، ولو لم يكن معنا أحد .

- وأنّ وسيلتنا التعبّد والدعوة ، والعلم والعمل ، وحسن الظن وحسن الخلق .

- وأنّ مذهبنا (الحكمة والمسألّة) .

- وأنّ غايتنا (الله) تعالى وحده .

فإن كان الراغب في مؤاخذتنا قد أَرْضاه هذا المذهب ، فإن كان متصوفاً بالفعل فهو على طريقته ومشرّبه وبركة شيخه ، يسير معنا متعاوناً في تحقيق أهدافنا ، ولا نطلب منه إلا أن يتزود بـ (المحمدية) التي لا يخطئها إلا محروم؛ فـ (المحمدية) هي التسامي بما أنت عليه إلى أعلى مراقبه ، وأن تحوّل كل حركاتك وسكناتك وأفعالك إلى عبادات خالصة لله .

أمّا إذا لم يكن الأخ قد تصوف ، فإن شاء دللناه على من

نرجو أن يوصله إلى الله من السادة ، وإن شاء آخينا على مشربنا
الذي نمارسه في الله ، سواء في ذلك الرجال والنساء والفتيان
والفتيات .

❖ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ❖

❖ تمت (الطبعة السابعة) من هذه الرسالة ، وكان الفراغ من
صفها ومراجعتها ومقابلة أصولها في يوم الأربعاء ١٤ من شهر شعبان
١٤٣٠ هـ ، الموافق ٥ / ٨ / ٢٠٠٩ م ، اعتنى بها وقابلها على أصولها
تلميذ الإمام الرائد : محيي الدين حسين يوسف الإسوي من خريجي
الأزهر الشريف ، والله الموفق المستعان .

مَنْ هُمْ " الصُّوفِيَّةُ عِنْدَنَا ؟!

هُم السَّادَةُ عِبَادُ الرَّحْمَنِ

١- المذكورون في أوْخِرِ سُورَةِ " الْفُرْقَانِ .

٢- وَالْمُعْتَصِمُونَ بِمَا جَاءَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخَلْقِ .
في منشورات الحديث الشريف والقرآن .

٣- وَالْمُؤْتَرُونَ بِخَصَائِصِهِمُ الرَّفِيعَةِ وَرَوْحَانِيَّتِهِمُ
السُّلْطَانِيَّةِ فِي مَسِيرَةِ الْحُبِّ وَالْتِمَاسِ وَالسَّلَامِ
وَالسَّابِقَةِ وَالْحَضَارَةِ وَالنَّفْسِ وَالْعُمُرَانِ
لِلْجَاهِ وَلَا دُنْيَا وَلَا سُلْطَانِ .

٤- وَالْمُنْدَجِمُونَ فِي الْحَيَاةِ بِمَوَاهِبِ التَّسَامِي وَالِدَعْوَةِ
وَالْمُرُونَةِ وَالرَّجُولَةِ وَالْقُدْوَةِ وَالْوَسْطِيَّةِ
لِلَّهِ تَعَالَى وَاللَّأُوطَانِ .

٥- قَلْبٌ مَعَ الْحَقِّ ، وَبَدَنٌ مَعَ الْخَلْقِ ، الْجَمْعُ فِي الْجَنَانِ
وَالْفَرْقُ فِي اللِّسَانِ ...

وَذَلِكَ هُوَ مَقَامُ الْإِحْسَانِ